الإشارات القرآنية إلى أحداث السيرة النبوية في العهد المكي:(دراسة موضوعية في العُشر الأخير من القرآن الكريم)

إعداد

د.خالد نواف الشوحه

وائل عبد الرحمن محمد حمدي اكريم

الدرجة العلمية: طالب دكتوراه/جامعة اليرموك- اربد- الاردن

التخصص: التفسير

العنوان: اربد

الإشارات القرآنية إلى أحداث السيرة النبوية في العهد المكي:(دراسة موضوعية في العُشر الأخير من القرآن الكريم)

الملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير البشر محمد، المبعوث رحمة للعالمين أما بعد.

فقد سعت هذه الدراسة إلى التعرف على الإشارات القرآنية المكية المتعلقة بالحديث عن إثبات النبوة ومصدر القرآن الكريم في العُشر الأخير من القرآن، وذلك من خلال تحليل هذه الآيات وربطها بأحداث السيرة النبوية، ولتحقيق ذلك تضمنت الدراسة مبحثين في كل مبحث مطلبان، تناول المبحث الأول الإشارات القرآنية المكية وطرائق القرآن الكريم في عرض أحداث السيرة النبوية، أما المبحث الثاني فتناول الإشارات القرآنية المكية إلى أحداث السيرة النبوية المتعلقة برسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته والقرآن الكريم، وخلصت الدراسة إلى أن منهج القرآن الكريم يُعد أكثر شمولاً لأحداث السيرة النبوية من المصادر الأخرى، حيث تناول النص القرآني المتعلق بأحداث السيرة جوانب نفسية وانفعالية وما تخفيه النفوس، بخلاف المصادر الأخرى التي اقتصرت على سرد الحدث المتعلق بالسيرة في جوانبه الظاهرة ، في حين كان النص القرآني يكشف عما يدور خلف تلك الأحداث من عبر ودلالات وعظات، كما أنه غلب على تلك الإشارات القرآنية المتعلقة بأحداث السيرة النبوية في العهد المكي الإيجاز؛ لأن الهدف من تلك الإشارات التركيز على التوحيد أكثر من التركيز على شبهات الكافرين حول النبوة والقرآن مع ملاحظة أن تلك الآيات على الرغم من إيجازها تضمنت الرد البليغ وقطع الشبهة بالحجة والبرهان.

الكلمات المفتاحية: الإشارات القرآنية، السيرة النبوية، العهد المكي.

Abstract

This study aims to introduce the Holy Quran signs related to the Prophecy and the source of the Quran in the last ten chapters of the Qur'an in the Meccan era. To achieve this, the study includes two topics and four demands. The first topic deals with concepts and terms related to the subject of the study, such as the linguistic meaning of the sign and the meaning of the Quran signs. Moreover, this topic deals with Quranic methods in depicting the events in the Prophetic biography. The second topic includes the Quran signs related to the proof of the Prophet's prophecy and the source of the Quran, whereby these signs are presented by linking them to the events that took place in Mecca.

The study concludes that the Quranic approach is more comprehensive for the events of the Prophet's biography than other sources since the Quranic verses on the events of the biography tackle some psychological and emotional aspects, unlike the other sources which are limited to narrating the events related to the biography in its apparent aspects. The Quranic text also digs deep into the connotations and themes behind these events. The Quran signs related to the events of the Prophet's biography during the Meccan era are brief and concise as well, and this is because the aim of these signs is to focus on monotheism (the belief that there is only one God) rather than on the suspicions of the disbelievers about prophecy and the Qur'an. Despite their conciseness, these verses are characterized by being the ideal eloquent response and the downright proof and evidence.

Keywords: Holy Quran Signs; Biography of the Prophet; Meccan era.

مقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين وبعد:

فإن الله تعالى أرسل نبيه الكريم بالهدى ودين الحق لطمس معالم الشرك والكفر، حيث كانت الجاهلية منتشرةً في مكة وما حولها، ليكون خاتمًا للشرائع والرسل، وقد اصطفى الله عز وجل عبده محمداً -عليه الصلاة والسلام- نبياً ورسولاً، فبدأ بدعوة الناس إلى التوحيد وترك ما كانوا عليه من الكفر، والتخلي عن عاداتهم وأخلاقهم الذميمة، فأنكر الكافرون ذلك وعارضوا دعوة الحق، ورموه عليه الصلاة والسلام بالجنون والسحر والشعر والكهانة، وأنكروا أن يكون القرآن الكريم كلام الله، وأن هناك حياة أخرى بعد الموت.

وقد واكبت الآيات القرآنية في العهد المكي الأحداث التي مرّ بها النبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً من لحظة تعبّده في غار حراء وحتى وفاته صلى الله عليه وسلم، وباستعراض العُشر الأخير من القرآن الكريم نجد أن بعض الإشارات القرآنية قد عرضت للكثير من المواقف والأحوال التي تتعلق بجوانب السيرة النبوية خلال العهد المكي، وبإمعان النظر نجد فيها مواضيع متعددة، مثل المواضيع المتعلقة بالعقيدة وإرساء أركانها، ومواكبة لتلك الأحداث عارضة للشبه والأكاذيب مفندة إياها بالحجة والبرهان، مبيّنة في الوقت ذاته ما يثبت صدق الدعوة، ويبطل شبهات الكافرين، وعدة أمور أخرى.

- **أهمية البحث**

١- الكشف عن طرائق القرآن الكريم في العهد المكي في عرض أحداث السيرة النبوية الشريفة.

٢- التعرف على الإشارات القرآنية المكية المتعلقة بإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

٣- الوقوف على الإشارات القرآنية المكية المتعلقة بإثبات مصدر القرآن الكريم.

٤- الكشف عن سبب اعتماد العلماء الآيات القرآنية في العهد المكي أساساً لتدوين السيرة النبوية يعطي العديد من الميزات التي تتسم باليقين والقطع للأحداث التي واكبتها تلك الآيات، وفي هذا إرشاد للباحثين ضرورة انتقاء الأحداث التي اتسمت بالصحة .

٥- استخلاص العِبر والدروس من أحداث السيرة النبوية وذلك من خلال التركيز على غايات الحدث أكثر من الانشغال بتفصيلاته.

- الدراسات السابقة:

قام الباحث بعملية استقصاء للجهود البحثية السابقة، إلا أنه لم يعثر الباحث على دراسة خاصةٍ تناولت الإشارات القرآنية إلى أحداث السيرة النبوية في العهد المكي بالعُشر الأخير من القرآن الكريم.

- منهج البحث:

اتبع الباحث في هذا البحث المنهجين الآتيين:

١- المنهج الاستقرائي؛ حيث تم جمع الآيات القرآنية التي عرضت لأحداث السيرة النبوية في العُشر الأخير من القرآن الكريم والمتعلقة بإثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، ومصدر القرآن الكريم.
٢- المنهج التحليلي؛ حيث تم تحليل الآيات القرآنية موضوع الدراسة الحالية وبيان منهجية القرآن في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، ومصدر القرآن الكريم.

- خطة البحث

اشتمل هذا البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:
المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وسبب اختياره وأهدافه ومنهجه وخطة الدراسة.

المبحث الأول: الإشارات القرآنية المكية وطرائق القرآن الكريم في عرض أحداث السيرة النبوية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإشارات القرآنية والسيرة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: طرائق القرآن الكريم في عرض أحداث السيرة النبوية.

المبحث الثاني:الإشارات القرآنية المكية إلى أحداث السيرة النبوية المتعلقة برسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته والقرآن الكريم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : الإشارات القرآنية المكية المتعلقة بالحديث عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: الإشارات القرآنية المكية المتعلقة بالحديث عن القرآن الكريم.

الخاتمة: واشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

والله ولي التوفيق

المبحث الأول

الإشارات القرآنية المكية وطرائق القرآن الكريم في عرض أحداث السيرة النبوية

تقتضي طبيعة البحث عرضاً لأبرز المفاهيم التي تضمنها، وطرائق القرآن الكريم في عرض أحداث السيرة النبوية، ومن شأن ذلك أن يشكل مدخلاً مهماً للباحثين في كيفية التعامل مع الآيات القرآنية المتعلقة بالسيرة النبوية، من أجل التمييز بين الآيات ذات الدلالة الصريحة والدلالة الضمنية على أحداث السيرة النبوية.

المطلب الأول

الإشارات القرآنية والسيرة لغةً واصطلاحاً

لف لأ ل: لإشا لغة صـ لاحا

١- لإشا لغة

تناول اللغويون مصطلح الإشارة بالبحث والتفصيل، وكانت عباراتهم تدور حول معنى الإيماء، والتلويح، وإظهار الشيء، وإبداء الرأي، قال ابن فارس:" الشين والواو والراء أصلان مطردان، الأول منهما: إبداء شيء وإظهاره وعرضه، والآخر: أخذ شيء.. وقال بعض أهل اللغة: من هذا الباب: شاورت فلاناً في أمري، فكأن المستشير يأخذ الرأي من غيره.."[١]. وقال صاحب لسان العرب :"أشار إليه بمعنى أومأ..وتكون الإشارة باليد أو العين أو الحاجب ونحو ذلك"[٢]. وعند صاحب القاموس المحيط أن أصل الإشارة في اللغة يكون بإظهار الشيء في جانبين: أحدهما حسيّ وهو الإيماء باليد والعين والحاجب، والآخر معنوي وهو الرأي[٣]. وفي التنزيل قوله تعالى: (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ) (مريم:٢٩)، قال ابن عاشور:" أي: أشارت إليه إشارة دلت على أنها تحيلهم عليه –عيسى عليه السلام- ليسألوه عن قصته"[٤]. ومن الملاحظ بالنسبة للمعنى اللغوي للإشارة أن التعريفات تختلف باختلاف السياق الذي وردت فيه الكلمة، فإذا كانت التعدية بحرف "الباء" غلب

---

[١] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا(ت: ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)، معجم مقايس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت، دار الجيل، (د.ت)، مادة (شور).

[٢] ابن منظور، جمال الدين(ت: ٦٣٠ه/١٣١١م)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٨٥، ج٤، ص٤٣٦.

[٣] الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب(ت:٨١٧ ه/١٤١٥م)، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧، مادة (شار).

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر(ت: ١٣٩٣ه/١٩٧٣م)، التحرير والتنوير، دار سحنون، (د.م)، (د.ت)،ج١٧، ص٩٧.

عليها معنى التلويح والإيماء كقول القائل:" أشار بيده"، أو "أشار بحاجبه"، أما إذا كانت التعدية بحرف "على" أشار عليه بكذا، يكون المعنى حينئذ إبداء الرأي[١].

٢- لإشا صـ لاحا

إن دلالة الكلام على المعنى باعتبار النظم على ثلاث مراتب[٢]:
المرتبة الأولى: أن يدل على المعنى، ويكون المعنى هو المقصود.
المرتبة الثانية: أن يدل على المعنى، ولا يكون مقصودًا أصليًّا، بل تبعيًّا.
المرتبة الثالثة: أن يدل على معنى هو من لوازم اللفظ وموضوعه ولا يكون مقصودًا أصليًّا.

قال الجرجاني:" الإشارة هو الثابت بنفس الصيغة من غير أن يسبق له الكلام "، كما أوضح الجرجاني أن إشارة النص تقتضي:" العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة لكنه غير مقصود ولا سيق له النص.."[٣].

لـ لثاني لإشا لـ نية

بدايةً لا بد من التنبيه إلى أن المقصود بالإشارة القرآنية في هذه الدراسة غير الذي عناه الأصوليون عند حديثهم عن أنواع الكلام، وكذلك غير الذي عناه اللغويون عند حديثهم عن الجانب اللغوي لمعنى كلمة "الإشارة". ويشكل معنى الإشارة القرآنية المدخل لفهم الآيات المتعلقة بالسيرة النبوية، وسيعتمد الباحث المعنى الآتي للإشارات القرآنية في هذا البحث:" اشتمال الآية القرآنية على حدثٍ من أحداث السيرة النبوية صراحةً أو ضمنًا مما يصلح معه أخذ الدروس والعبر" وبناء على هذا التعريف تكون الإشارة القرآنية إلى أحداث السيرة النبوية على طريقتين:

١- لإشا لصـ يحة وردت بعض أحداث السيرة النبوية بطريقة ظاهرة وواضحة حيث تضمن النص القرآني وصفًا بيّنًا للحدث ومن ذلك وصف غزوة بدر في قوله تعالى: (إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ) (الأنفال:٤٢) ، فهذه الآية وصفت مشهدًا من مشاهد غزوة بدر من حيث أماكن تواجد جيش المسلمين، ومكانه العُدوة الدنيا: أي: جانب الوادي مما يلي المدينة، وجيش المشركين بالعدوة القصوى، أي مما يلي مكة، ومكان القافلة والركب أسفل منكم:" أي قافلة أبي سفيان"[٤].

---

[١] ابن منظور، لسان العرب،ج٤، ص٤٣٦.
[٢] الرافعي، عبد الكريم بن محمد(ت: ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦م)، العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، تحقيق:علي معوض وعادل عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧، ص٢٥٥.
[٣] الجرجاني، علي بن محمد(ت: ٨١٦هـ/١٤١٣م)، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣، ص٣١.
(٤) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت:٦٧١هـ/١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٤، ج٨، ص٢٧.

٢- لإشا لضمنية وردت بعض أحداث السيرة النبوية بطريقة الإيحاء حيث تضمن النص القرآني وصفًا غير ظاهرٍ ولكنه يُفهم من مجموع أحداث السيرة النبوية ومن ذلك قوله تعالى:" (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)، (التوبة:٤٠). فهذا النص القرآني الشريف احتوى على إشارتين ضمنيتين هما[١]:

- هذا الخروج كان عام الهجرة.
- إن الصاحب الذي أشار إليه النص القرآني الشريف كان سيدنا أبا بكر، رضي الله عنه.

لف لثال : لسي لنب ية

١- لسي لغة

وردت لفظة السيرة عند أهل اللغة بعدّة دلالاتٍ، فهي تشير أحيانًا إلى الحالة التي يكون عليها الشخص أو الطريقة والهيئة، أو سلوك الإنسان من ناحية الخير أو الشر، وأحيانًا يُشار إليها لتدل على المغازي، وفيما يلي مجمل ما ذكره أهل اللغة في هذا الباب: فقد قال الراغب الأصفهاني: "السيرة: الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره، غريزيًا كان أو مكتسبًا، يقال: فلانٌ له سيرةٌ حسنة، وسيرةٌ قبيحة، وقوله: (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأولَى)، (طه:٢١) أي الحالة التي كانت عليها كونها عودًا" [٢]. وتأتي السيرة عند الزبيدي على عدة معانٍ؛ الطريقة أو الهيئة[٣]، أما ابن فارس فقد قال:"سَيَرَ: السين والياء والراء أصل يدل على مضي وجريان، يقال: سار يسير سيرًا، وذلك يكون ليلًا ونهارًا، والسيرة :الطريقة في الشيء والسنة، لأنها تسير وتجري"[٤]. وقال الفيومي :"السيرة الطريقة، وسارت الناس سيرة حسنة أو قبيحة، والجمع سير، وغلب اسم السير في ألسنة الفقهاء على المغازي، والسيرة أيضًا الهيئة والحالة" [٥]. قال الجرجاني :"السيرة جمع سِيَر؛ وهي

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر(ت:٧٤٢هـ/ ١٣٧٣م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدنيا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ه،ج٤، ص٢٤.

(٢) الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد(ت: ٥٠٢ هـ / ١١٠٨م) ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم، ١٤١٢هـ (ط١)،ج١، ص٤٣٣ مادة (سار).

(٣) الزبيدي، محمد مرتضى (ت:١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، مادة (سير).

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (سير).

(٥) الفيومي، أحمد بن محمد (ت: ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م)، المصباح المنير، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٧، ص١١٣- ١١٤.

الطريقة سواءً كانت خيرًا أو شرًا، إذ يقال: فلانٌ ذو سيرةٍ حسنةٍ، وفلان ذو سيرةٍ سيئة" [1].

٢- السيرة في الاصطلاح:

يشير المعنى الاصطلاحي للسيرة إلى جزء من تاريخ الإنسان بخيره وشره، وما يشمله ذلك التاريخ من أحداث ووقائع مختلفة، لذا غلب على السيرة في الاصطلاح العام بأنها:"ترجمة حياة شخص ما أو تاريخ حياته"[2].

٣- السيرة النبوية

بعد النظر والتأمل في التعريفات الواردة في مصطلح السيرة النبوية في الكتب المحققة يُلاحظ الباحث أنه غلب على هذه التعريفات الجمع بين السير والمغازي، وهذا يعني أن المغازي جزء من السيرة، ولعله الجزء الأهم، وعلة ذلك أن المعنى الاصطلاحي للسيرة يتضمن معنى السَّيرْ للعدو، لذا تم الجمع بين السير والمغازي في باب واحد[3]. وقال المرغيناني: "السيرة النبوية تختص بسير النبي صلى الله عليه وسلم في مغازيه"[4] وقال ابن عابدين في مقدمة كتاب الجهاد، في الدر:"هذا الكتاب يُعبر عنه بالسير والجهاد والمغازي، والسيرة –بالكسر- من السيْر، فتكون لبيان هيئة السير وحالته، إلا أنها غلبت في لسان الشرع على أمور المغازي وما يتعلق بها، كالمناسك على أمور الحج.. "[5]. ومن المعاصرين من عرّف السيرة النبوية بأنها:"فرعٌ من التاريخ، يختص بحياة النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته وأعماله"[6]. أو هي:"العلم الذي يبحث في حياة النبي صلى الله عليه وسلم من مولده إلى وفاته، مع التعريف بنسبه الشريف، ونشأته، وبعثته، ومعجزاته، ومراحل دعوته، وأخلاقه، والغزوات التي خاضها صلى الله عليه وسلم" [7]. ويُلاحظ الباحث على هذا التعريف أنه أعم من مجرد حصر السيرة في المغازي،

---

(١) الجرجاني، التعريفات، ص٢٠٥.

(٢) الكردي، راجح، شعاع من السيرة النبوية في العهد المكي، عمان، دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٤، ص١.

(٣) النسفي، نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد(ت: ٥٣٧ هـ/ ١١٤٢م)، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، علق عليه ووضع حواشيه: محمد حسن الشافعي، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، كتاب السير، ص١٤٣.

(٤) المرغيناني، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل (ت: ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م)، الهداية في شرح بداية المبتدي، تحقيق: طلال يوسف، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث، (د.ت)،ج ٢، ص٣٧٨.

(٥) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز (ت: ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م)، رد المحتار على الدر المختار، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٢م، (ط٢)، ج٤، ص١١٩.

(٦) عويضة، محمد عبدالله، منهج التعامل مع السيرة النبوية، فرزة من مجلة المجمع العلمي، ج١، مجلد ٤٨، بغداد، ٢٠٠١، ص١٥٣.

(٧) هرماس، عبد الرزاق، مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، بحث مقدم لجائزة نايف بن عبدالعزيز آل سعود للسنة والدراسات الإسلامية المعاصرة، الدورة الثالثة، ٢٠٠٧، ص١٣.

وإن كان الباعث على الجمع أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم قد غلب عليها المواجهة مع الأعداء من لحظة الجهر بالدعوة وصولًا إلى الحرب المباشرة مع الأعداء سواءً في المعارك أو الغزوات.

ويرى الباحث أن هناك فرقاً بين مصطلح السيرة بشكل عام ومصطلح السيرة النبوية على وجه الخصوص؛ لأن السيرة في سياقها العام تطلق على الأحداث التي مر بها الشخص في فترة زمنية معينة، أما السيرة النبوية فهي الأحداث الخاصة بحياة النبي صلى الله عليه وسلم من لحظة الولادة إلى لحظة الوفاة.

لف ا بع لعه لمكي(لآيا لس لمكية):

اختلفت كلمة العلماء في تعريف الآيات والسور المكية إلى أقوالٍ كثيرة وباعتبارات كثيرة، ولكني سأعتمد في بحثي هذا على ما رجحه جمهور العلماء، قال ابن عطية:"ما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدني وإن نزل في مكة أو في سفر من أسفار النبي عليه السلام"" [1] ، وقال ابن كثير:" المكي ما نزل قبل الهجرة، سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أي البلاد كان، حتى لو كان بمكة أو عرفة"[2] .

المطلب الثاني

طرائق القرآن الكريم في عرض أحداث السيرة النبوية

تُعدّ السيرة النبوية من أفضل النماذج بل أجلّها وأشرفها لتنشئة المسلم تنشئةً مبنيةً على أسسٍ قويمة، وتعليمه للتعرف على أحكام الإسلام؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم خير معلمٍ ومربٍ، إضافة إلى التعرف على من عاش مع النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم.

وتتميز السيرة النبوية الشريفة بأنها متكاملة بحيث تناولت تفاصيل حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تترك أي جزءٍ من حياته الكريمة، وهذا بخلاف أي سيرةٍ أخرى، مما يجعل منها أسوةً حسنةً يقتدي بها المسلم حيثما حلّ وارتحل، كما أنها تعين على استيعاب القرآن الكريم وفهم آياته الكريمة.

تتفرد السيرة النبوية بأنها أصح سيرةٍ لتاريخ نبي مرسل، فقد وصلت إلينا من أصح الطرق العلمية وأقواها ثبوتًا مما لا يترك مجالاً للشك في وقائعها البارزة، وأحداثها الكبرى، وقد جاءت سيرته صلى الله عليه وسلم مبسوطةً شاملةً لجميع مراحل حياته، قبل ميلاد أبيه عبدالله بأمه آمنة حتى وفاته صلى الله عليه وسلم، كما تتميز السيرة النبوية بكونها شاملة لجميع النواحي الإنسانية في المجتمع مما يجعله القدوة الصالحة لكل داعية، وكل قائد [3].

---

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج ٢، ص٣.
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٢٣.
(٣) آل عابد، أبو بدر محمد، حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، تونس، دار الغرب الإسلامي، ٢٠١١،ج١، ص٢٤.

إن السيرة النبوية هي الترجمة العملية للقرآن الكريم والنموذج التطبيقي لما دعا إليه من محاسن الأخلاق ومكارمها، فالسيرة النبوية تعين المفسرين على فهم بعض آيات القرآن الكريم إذ إن بعضه لا يمكن فهمه بمعزلٍ عن البيئة التي نزل فيها والظروف والملابسات التي شهدت نزوله.

قال ابن كثير في أهمية دراسة السيرة النبوية وعناية الصحابة بها :"وهذا الفن مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له، وأسند ابن كثير من قول علي بن الحسين قوله :" كنا نُعَلِّمُ مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما نُعَلِّمُ السورة من القرآن.." [١].

وقد كان للصحابة رضوان الله عليهم فهم سليم لكتاب الله لأنهم عاصروا التنزيل وفهموا سنة النبي صلى الله عليه وسلم واطلعوا على أحوال سيرته العطرة، وهم بذلك الفهم أشد معرفةً من المتأخرين الذين لم يعاينوا التنزيل ولم يطلعوا على السيرة العطرة إلا من خلال المصنفات أو المشافهات [٢].

ودراسة السيرة النبوية تعين على فهم جوانب من شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وهي تُعدُّ غاية في الأهمية للدعاة ليعرفوا كيف يصلون إلى قلوب الناس وأفئدتهم، وذلك من أجل ضمان إبلاغ الشريعة بأسلوب حكيم يجعلهم يرون في السيرة النبوية المعتصَم الذي يلوذون به عند اضطراب السبل[٣].

وبعد هذا البيان الموجز لأهمية دراسة السيرة النبوية وأثرها في حياة المسلم، فلا بد من التعرف إلى مصادر السيرة النبوية وبيان الكيفية التي اعتمدها أهل العلم في تحديد تلك المصادر لاستيعاب جوانب السيرة النبوية الشريفة، بغية أن يجد المسلم سيرةً تتمتع بالصحة واليقين من حيث الرواية.

إنَّ السيرة النبوية في مفهومها العام هي البحث في جوانب حياة النبي صلى الله عليه وسلم منذ مولده الشريف إلى وفاته، وكذا لا يمكن البحث فيها من ناحية العقل فحسب، بل إن المعتبر في سيرته العطرة صلى الله عليه وسلم هو النقل عن طريق الرواية الصحيحة. ثم إذا كان تلقي السيرة يتم عن طريق الرواية فإن ذلك يقتضي بالضرورة تنوع مصادر تلقي السيرة، إلا أن المشهور عند علماء السيرة أن تلك

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين(ت:٧٤٢هـ/ ١٣٧٣م)، البداية والنهاية، بيروت، لبنان، مكتبة المعارف، ١٩٧٧، (ط٢)،ج ٣، ص٢٤٢ .

[٢] ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (ت: ٧٢٨ه/ ١٣٢٨م)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥، ج١٩، ص٢٠٠.

[٣] آل عابد، حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، ص٢٥.

المصادر تتمثل بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكتب السير وكتب التاريخ[1].

ويرى الباحث أن القرآن الكريم لم يتخذ أسلوبًا معينًا في الحديث عن أحداث السيرة النبوية؛ ولعل مرد ذلك إلى أن القرآن الكريم لم ينزل دفعةً واحدة وإنما نزل منجمًا، وبالتالي فقد كانت الآيات القرآنية تتناول أحداث السيرة بما ينسجم وطبيعة المرحلة التي نزلت فيها تلك الآيات، فالقرآن الذي نزل في العهد المكي أسهب في الحديث عن المعاناة التي واجهها النبي صلى الله عليه وسلم مع خصومه، فصوّر البيئة التي نشأ فيها النبي صلى الله عليه وسلم وما كان عليه قومه من الشرك والوثنية، في حين أن القرآن الذي نزل في العهد المدني تناول أحداثا كان جلّها يتعلق بغزوات النبي صلى الله عليه وسلم وتعامله مع اليهود، إضافةً إلى بعض الأحكام الشرعية التي تنظم المجتمع.

وعند الحديث عن طرائق القرآن الكريم في تناول أحداث السيرة النبوية فلا بد بداية من معرفة دلالات ألفاظ القرآن الكريم كونها تشكل المدخل الرئيس لفهم الطريقة التي تناول فيها النص القرآني تلك الأحداث.

وكان علماء الأصول أول من تكلم في موضوع ألفاظ القرآن الكريم ودلالاتها في ثنايا كتبهم، ويمكن تلخيص ذلك بشكل عام فيما يلي:[2]

١- لفظٌ عامٌ أريد به العموم، ومثاله قوله تعالى:(وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ)(النمل :٩١).

٢- لفظٌ خاصٌ أريد به الخصوص، ومثاله قوله تعالى:(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ) (ص:٧١) مع قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) الحجرات:١٤) فآدم عليه السلام لا يدخل في سياق الآية الثانية مع أنه من الناس، ولا عيسى عليه السلام .

٣- لفظٌ عام أريد به الخصوص، ومثاله قوله تعالى:(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) (الأعراف:١٥٦) فهذه الآية وإن وردت بصيغة العموم إلا أنها تفيد الخصوص حيث استثني إبليس من رحمة الله تعالى.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دمشق، دار القلم، ١٩٩٢، ج١، ص٢٧، ودروزة، محمد، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صور مقتبسه من القرآن الكريم، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت، ص٥، والسباعي، مصطفى، السيرة النبوية دروس وعبر، دمشق، المكتب الإسلامي، ، د.ت، ص٢٨، وأحمد، مهدي، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، ١٩٩٢، ص١٥.

(٢) الزحيلي، محمد، الوجيز في أصول الفقه، دمشق، دار الخير للنشر والطباعة والتوزيع، ٢٠٠٦،ج٢، ص٤٩ وما بعدها.

٤- لفظٌ خاص أريد به العموم، ومثاله قوله تعالى :(وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى)(النجم:٤٩) فهذه الآية وإن وردت بصيغة الخصوص إلا أنه أريد بها العموم؛ لأن الله عز وجل رب الشعرى وغير الشعرى.

وبعد هذا البيان الموجز لطبيعة الألفاظ في القرآن الكريم ودلالاتها نعرض لأبرز طرائق القرآن الكريم في عرض الإشارات الدالة على أحداث السيرة النبوية [١]:

١- إيجاز الحدث في بعض الآيات دون الاهتمام بالتفاصيل، لأن الهدف هو أخذ العبر والدروس من الحدث أكثر من مجرد الوصف والسرد، ومثال ذلك قوله تعالى :(أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى)(عبس:٥-٦) فهذه الآية على الرغم من قصر جملها إلا أنها تناولت حدثًا بارزًا من أحداث السيرة وهو التعرض للأغنياء من المشركين رجاء أن يُسلِموا [٢].

٢- تكرار تناول الحدث نفسه في أكثر من موضع في القرآن الكريم، والاقتصار أحيانًا على وصف الحدث في سورة واحدة، ومثال ذلك غزوتا بدر وأحد، فغزوة بدر تناولها النص القرآني في أكثر من موضع من القرآن الكريم، ففي سورة آل عمران يقول عز وجل : (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ) (آل عمران:١٣)، أما سورة الحج ففي قوله تعالى:(هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ)(الحج:١٩) وقد ورد في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه أنه أقسم أن هذه الآية نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه[٣] (البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (هذان خصمان اختصموا في ربهم) حديث رقم ٤٤٦٦، مسلم، صحيح مسلم، كتاب التفسير، باب (هذان خصمان اختصموا في ربهم) حديث رقم ٣٠٣٣).

٣- تجريد الحدث من أسماء الأشخاص، وفي هذا توجيهٌ لطيفٌ ومنٌ من الله تعالى للحفاظ على المشاعر وإتاحة الفرصة للمخطئ للرجوع عن خطئه، فمن ذلك قوله تعالى :(وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ)(التوبة:١١٨) فالقرآن الكريم لم يذكر أسماءهم صراحةً وإنما ذكرها تعريضًا، كما أن القرآن الكريم يُعرض عن ذكر الأسماء أيًا كانت المعصية التي وقعوا فيها.

---

(١) السباعي، مصطفى، السيرة النبوية دروس وعبر، ص٢٤، هرماس، عبد الرزاق، مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، ص٣٨، مرزوق، عبد الصبور، السيرة النبوية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٥ وما بعدها، البكري، محمد أنور، مصادر تلقي السيرة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، (د. ت)، ص٢٣.

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ١٠٧/٢٤.

(٣) هم الذين خرجوا للمبارزة يوم بدر: علي وحمزة وعبيدة، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (هذان خصمان اختصموا في ربهم) حديث رقم ٤٤٦٦.

٤- دقة عرض القرآن الكريم ووصفه لبعض أحداث السيرة النبوية من حيث مكان الحدث والأحوال التي تمت أثناء الحدث والنتائج المترتبة على ذلك الحدث، ومن ذلك أحداث غزوة الخندق حيث وصف مكان الغزوة وأحوال المقاتلين والنتيجة التي انتهت إليها الغزوة بكل دقةٍ ووضوح، وفيما يلي تفصيل ذلك:

- وصف مكان المعركة: قوله تعالى (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) (الأحزاب:١٠).
- بيان حال المؤمنين، رغم ما أصابهم من خوفٍ شديد كقوله تعالى (بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) (الأحزاب:١٣)، ومع ذلك كانت ثقتهم بالله وبنصره مؤكدةً، قال تعالى:(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) (الأحزاب:٢٢).
- بيان النتيجة التي آلت إليها الغزوة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا).(الأحزاب:٩).

وثمة أمور أخرى أكثر وأكثر نستطيع أن نستخلصها من الآيات تدل على تفاصيل المعركة.

٥- التأكيد على بشرية النبي صلى الله عليه وسلم وأنه قد يصدر منه في بعض الأحيان ما هو خلاف الأولى، فيأتي النص القرآني لعرض الحدث كما هو والتعقيب عليه، بهدف الإرشاد والتوجيه مع مراعاة حال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، بل إن النص القرآني وفي سياق العرض لبعض الأحوال الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فإنه يعرض للحدث بأسلوب فيه رقة ولطف، ومن ذلك قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التحريم:١) ولعل في عتاب الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم مزيد العناية والاهتمام به، إذ هو القدوة الحسنة للمسلمين في الأحوال جميعها.

٦- إيراد أحداث السيرة النبوية غير مرتبةٍ ترتيبًا زمنياً، ومثال ذلك ما ورد في سورة الأنفال عن غزوة بدر، حيث بدأ الحديث في السورة عن الأنفال واختلاف المسلمين حولها، ومن ثم تم ذكر أحداث الغزوة، وهذا المنهج القرآني إنما يلفت إلى الأمور الهامة التي لها تأثير كبير في النفوس، إضافة إلى ترسيخ مبادئ تنظيم المجتمع الإسلامي من أجل تصحيح المسار وتقويمه.

٧- الولوج إلى أعماق النفس البشرية للشخصيات الواردة في أحداث السيرة النبوية، حيث تناول القرآن الكريم الكثير من الأحوال النفسية للشخصيات الواردة في الأحداث بدءاً بالنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام، وكذلك شخصيات المشركين والمنافقين.

حيث أورد القرآن الكريم جانباً من سريرة النبي صلى الله عليه وسلم، مما لم يعرفه أقرب الناس إليه سواءً من أزواجه أو صحابته الكرام، ومثال ذلك ما أورده القرآن الكريم من حزن النبي عليه الصلاة والسلام الشديد على مصير المشركين الذين تشبثوا بالكفر وتركوا اللحوق بركب المؤمنين، وذلك في قوله تعالى :(فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) (الكهف:٦).

من خلال العرض السابق لطرائق القرآن الكريم في عرض أحداث السيرة النبوية يظهر أن غاية النص القرآني كانت تتمثل بترسيخ عقيدة التوحيد، إضافةً إلى إعطاء الدروس والعبر مع التركيز على الأحداث المفصلية من خلال المقدمات أو العرض أو النتائج.

المبحث الثاني

الإشارات القرآنية المكية إلى أحداث السيرة النبوية المتعلقة برسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته والقرآن الكريم

تناول القرآن الكريم في كثيرٍ من آياته ما يدلل على صدق نبوة محمدٍ عليه الصلاة والسلام ومصدر المعجزة التي جاء بها لأمة العرب وللناس كافة، حيث عرضت الآيات القرآنية للعديد من الإشارات والتي يُفهم من مجموعها أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان قد اشتهر في مكة بالصدق والأمانة، ولم يُجرب عليه القوم كذبًا، ولعل في ذلك تهيئة للنبي صلى الله عليه وسلم ليكون نبيًا، وليكون صدقه قبل البعثة دليلًا عل صدقه بعد البعثة.

أما فيما يتعلق بالقرآن الكريم فقد شهد المشركون له منذ أن سمعوا آياته بأنه ليس من كلام البشر، وأنه لا يعلو فوقه كلام، وهذه الشهادة بحد ذاتها كانت قطعية على مَصْدر القرآن الكريم بأنه من عند الله، حيث تضمن من البلاغة والإعجاز ما لم تسمع العرب كلاماً مثله من قبل، وسيتم في هذا المبحث عرض الإشارات القرآنية التي تناولت أحداث السيرة النبوية المتعلقة بإثبات النبوة ومصدر القرآن الكريم في العهد المكي.

المطلب الأول

الإشارات القرآنية المكية المتعلقة بالحديث عن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام

إن القرآن الكريم الذي عجز عن الإتيان بمثله الأولون والآخرون من الإنس والجن لهو أكبر دلالة وأصدق شهادةٍ على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا مصداق قوله تعالى :(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا القرآن لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (الإسراء: ٨٨)، كما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله: "ما من الأنبياء من نبي، إلا قد أعطي من الآيات، ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيتُ وحياً أوحى اللهُ إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"(البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل، حديث رقم : (٤٦٩٦) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته حديث رقم: (٤٠٢) واللفظ لمسلم). قال ابن حجر في معنى قوله: "إنما كان الذي أوتيتُ وحيًا": "أي: أن معجزتي التي تَحدّيتُ بها، الوحي الذي أنزل عليّ، وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح وليس المراد

حصر معجزاته فيه ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره".[1]

وتجمع كتب السير والأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل البعثة موصوفاً بالصادق الأمين لحسن أخلاقه، عند أهل مكة قاطبة وهم كفرة مشركون، فقد روى البخاري من حديث عبد الله بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام، في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها [2] أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء[3] فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه...فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، قلت : لا، قال: فهل يغدر، قلت: لا.."(البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم:٧) فهذه الأخلاق التي اتصف به النبي صلى الله عليه وسلم كانت ممهدةً لحمله الرسالة الإلهية للناس كافة.

"وقد كانت حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم قبل البعثة حياة فاضلة شريفة، لم تعرف له فيها هفوة، ولم تحص عليه فيها زلّة، لقد شبّ رسول الله يحوطه الله سبحانه وتعالى بعنايته، ويحفظه من أقذار الجاهلية؛ لما يريده له من كرامته ورسالته، حتى صار أفضل قومه مروءةً، وأحسنهم خلقًا، وأكرمهم حسبًا، وأحسنهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وأعظمهم أمانةً، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال، تنزّهاً وتكرماً حتى صار معروفًا بالأمين" [4] ، كما عصم الله عز وجل نبيه قبل البعثة مما كان موجودًا في البيئة من السمر واللهو وما شابه ذلك من ضروب الأخلاق التي كان أهل مكة يتخلقون بها، فقد روي عنه أنه قال:"ما هممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما.قلت ليلة لبعض فتيان مكة - ونحن في رعاء غنم أهلها – فقلت لصاحبي أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان فقال بلى. قال: فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفًا بالغرابيل والمزامير، فقلت ما هذا؟ قالوا تزوج فلان فلانةً. فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فقلت ما فعلت شيئًا ثم أخبرته بالذي رأيت، ثم قلت له ليلة أخرى أبصر لي غنمي حتى أسمر [بمكة] ففعل

---

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩ه،ج ٩، ص٦.

(٢) يعني ماد فيها أبا سفيان (بتشديد الدال) أي جعل بينه وبينه مدة صلح الحديبية، انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١، ص١٨٦.

(٣) إيلياء: اسم مدينة بيت المقدس، قيل: معناه بيت الله، انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي(ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، ، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م،(ط٢)، ج١، ص ٢٩٣.

(٤) أبو شُهبة، محمد، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ص٢٣٥.

فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة. فسألت، فقيل نكح فلان فلانة، فجلست أنظر، وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال ما فعلت؟ فقلت لا شيء ثم أخبرته الخبر، فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته". [1]

وقد ورد في العُشر الأخير من القرآن الكريم العديد من الإشارات القرآنية المتعلقة بأحداث السيرة النبوية سواءً قبل البعثة أو بعدها، وبعد عملية الاستقراء للإشارات القرآنية حول هذا الجزء من الدراسة تبين أنها وردت في إحدى عشرة آيةً.

الإشارة الأولى: مما قبل البعثة قوله تعالى :(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى) (الضحى:٦-٨)، "أي: وجدك لا أم لك، ولا أب، بل قد مات أبوه وأمه وهو لا يدبر نفسه، فآواه الله، وكفله جده عبد المطلب، ووجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق. ووجدك فقيراً فأغنى بما فتح الله عليك من البلدان التي جُبيت لك أموالها وخراجها، فالذي أزال عنك هذه النقائص، سيزيل عنك كل نقص، والذي أوصلك إلى الغنى، وآواك ونصرك وهداك، قابل نعمته بالشكران" [2] ، وقال ابن عاشور:"والمقصود من هذا إيقاع اليقين في قلوب المشركين بأن ما وعده الله به محقق الوقوع قياسا على ما ذكره به من ملازمة لطفه به فيما مضى وهم لا يجهلون ذلك عسى أن يقلعوا عن العناد ويسرعوا إلى الإيمان، وإلا فإن ذلك مساءة تبقى في نفوسهم وأشباح رعب تخالج خواطرهم، ويحصل مع ذلك المقصود امتنان على النبي- صلى الله عليه وسلم- وتقوية لاطمئنان نفسه بوعد الله تعالى إياه، والاستفهام تقريري، وفعل (يجدك) مضارع (وجد) بمعنى ألفى وصادف، وهو الذي يتعدى إلى مفعول واحد ومفعوله ضمير المخاطب، و(يتيما) حال، وكذلك (ضالًا) و (عائلًا) والكلام تمثيل لحالة تيسير المنافع للذي تعسرت عليه بحالة من وجد شخصا في شدة يتطلع إلى من يعينه أو يغيثه"[3].

فهذه الآيات الكريمة تأتي لاستعراض البيئة التي نشأ بها النبي صلى الله عليه وسلم ومعاناته من الفقر واليتم، إلا أن الرعاية الإلهية له كانت قبل البعثة وبعدها.

ثم تتوالى الرعاية الإلهية للنبي عليه الصلاة والسلام، وتأتي الإشارات القرآنية المكية مؤكدةً في سياق هذه الرعاية لتهيئته عليه السلام لتحمل الرسالة، الإشارة الثانية قوله تعالى:(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)(الشرح:١)، قال البيضاوي حول هذه الآية الكريمة: "ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائباً حاضراً، أو

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م، (ط١)، ج٢، ص٣٥٢، رواه ابن إسحاق وإسحاق بن راهويه والبزار وابن حبان، قال ابن حجر: وإسناده حسن متصل.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، (ط١)، ٩٢٨.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠ ص٣٣٩.

ألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل، أو بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك، وقيل إنه إشارة إلى ما روي: "أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه أو يوم الميثاق، فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيماناً وعلماً" ولعله إشارة إلى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام إنكار نفي الانشراح مبالغة في إثباته ولذلك عطف عليه".[1] قال ابن عاشور:"ألم نشرح لك صدرك: استفهام تقريري على النفي، والمقصود التقرير على إثبات المنفي. وهذا التقرير مقصود به التذكير لأجل أن يراعي هذه المنة عندما يخالجه ضيق صدر مما يلقاه من أذى قوم يريد صلاحَهم وإنقاذَهم من النار ورفعَ شأنهم بين الأمم، ليدوم على دعوته العظيمة نَشيطاً غير ذي أسف ولا كَمَدٍ"،[2] قال ابن عطية:" أن شرح الصدر المذكور هو تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقي ما يوحى إليه، وقال ابن عباس وجماعة: هذه إشارة إلى شرحه بشق جبريل عنه في وقت صغره".[3] وقال الشوكاني:" وإنما خص الصدر لأنه محل أحوال النفس من العلوم والإدراكات، والمراد الامتنان عليه صلى الله عليه وسلم بفتح صدره وتوسيعه حتى قام بما قال به من الدعوة، وقدر على ما قدر عليه من حمل أعباء النبوة وحفظ الوحي".[4]

قال الزمخشري :"إن قلت: أى فائدة في زيادة (لك) في قوله تعالى :"أم نشرح لك صدرك"، والمعنى مستقل بدونه؟ قلت: في زيادة لك ما في طريقة الإبهام والإيضاح، كأنه قيل: ألم نشرح لك، ففهم أن ثم مشروحًا، ثم قيل: صدرك، فأوضح ما علم مبهمًا، وكذلك لَكَ ذِكْرَكَ وعَنْكَ وِزْرَكَ".[5]

وقد ثبت في صحيح مسلم من طريق حمّاد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك "أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتاه جبريل- عليه السلام- وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشقّ عن قلبه فاستخرج القلب، واستخرج منه علقة سوداء، فقال: هذا حظ الشيطان، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه- يعني ظئره- فقالوا:إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره"(

---

(١) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت: ٦٩١هـ/١٢٩٢م)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي،١٤١٨ هـ، (ط١)،ج ٥، ص٣٢١.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠ ص٤٠٨.

(٣) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ، (ط١)، ج ٥، ص٤٩٦.

(٤) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، فتح القدير، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ،(ط١)،ج ٥، ص٥٦٢.

(٥) الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (المتوفى: ٥٣٨هـ/١١٧٤م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة٣، ١٤٠٧ هـ، ج٤ ص٧٧١.

مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم: ٤٣١).

والذي يظهر أن الحكمة من شق صدره عليه الصلاة والسلام هي :"أن الله أزال عنه كل ما كان يتحرج منه من عادات أهل الجاهلية التي لا تلائم ما فطر الله عليه نفسه من الزكاة والسُمُوِّ ولا يجد بُدًّا من مسايرتهم عليه فوضع عنه ذلك حين أوحى إليه بالرسالة، وكذلك ما كان يجده في أول بعثته من ثقل الوحي فيسّره الله عليه"[١]، وعلى كل حالٍ فتلك الحادثة كانت تهيئة للنبي عليه الصلاة والسلام للرسالة.

والإشارة الثالثة التي تقرر إثبات أخلاقه الحميدة صلى الله عليه وسلم مما يؤكد ويدلل على نبوته عليه الصلاة والسلام، فقد أثنى الله عز وجل على أخلاق النبي المصطفى بقوله:(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(القلم:٤) قال ابن كثير:(قال العوفي عن ابن عباس: أي وإنك لعلى دينٍ عظيم، وهو الإسلام)، وكذلك قال والربيع ابن أنس، والضحاك، وابن زيد"[٢] ، وقال الزمخشري:" استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات (الموجعات) من قومه وحسن مخالفته ومداراته لهم. وقيل: هو الخلق الذي أمره الله تعالى به في قوله تعالى:"خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (الاعراف:١٩٩)" [٣] .

قال لسعد :"أي: عاليًا به، مستعليًا بخلقك الذي منَّ الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين، عائشة رضي الله عنها لمن سألها عنه، فقالت: "كان خلقه القرآن"[٤] ، فكان صلى الله عليه وسلم سهلا لينا، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال صلى الله عليه وسلم. [٥]

ومما سبق يظهر كيف بيّنت الآيات أن النبي صلى الله عليه وسلم أصبح مهيئاً للرسالة بما من الله عليه من العصمة والأخلاق الحميدة، ثم تأتي الإشارة القرآنية إلى الإيذان بتسلمه عليه الصلاة والسلام لمهام الرسالة، ويظهر ذلك من الإشارة الرابعة في قوله تعالى :(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠ ص٤١٠.
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج ١٤، ص٨٥.
(٣) الزمخشري، الكشاف، ج٤ ص٥٨٥ .
(٤) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، المسند، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٨م، (ط١)، حديث رقم (٢٤٦٤٥).
(٥) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٨٧٨.

وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) (العلق:١- ٤)، فقد روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: "ما أنا بقارئ"، قال: " فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال:(اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم) (العلق: ١-٣) (البخاري، صحيح البخاري، باب بدء الوحي، حديث رقم (٣) مسلم، صحيح مسلم، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٢٥٢) واللفظ للبخاري).

وتتوالى بعد ذلك الإشارات القرآنية المكية المؤكدة على نبوته عليه الصلاة والسلام، فتصف واقعه وتأمره بأداء ما أوجب الله عليه من العبادات استعداداً لحمل الرسالة، وتنبيهه للصعاب التي قد يتعرض لها في سبيل ذلك في الإشارة الخامسة قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ، وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِر) (المدثر:١-٧)، فعن يحيى بن أبي كثير سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} قلت: يقولون {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} فقال أبو سلمة: سألت جابر عن عبد الله رضي الله عنهما عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: "جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت. فنودي فنظرت عن يميني فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا، ونظرت أمامي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أر شيئا، فرفعت رأسي فرأيت شيئا، فأتيت خديجة فقلت: "دثروني وصبوا علي ماء باردا، قال: فدثروني وصبوا علي ماء باردا". قال فنزلت: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ)، ورغم الاختلاف في أول ما نزل من القرآن الكريم إلا أن أصح ما ورد بأن قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) هي أول ما نزل في غار حراء، كما رواه البخاري ومسلم عن عائشة في حديث أول ما بُدِيء به الرسول من الوحْي، وقيل: إن أول ما نزل إطلاقًا: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)، وذلك لحديث رواه البخاري ومسلم أيضًا عن جابر بن عبد الله، ويمكن الجمع بين الروايتين بأن اول ما نزل إطلاقاً هو (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) وأول ما نزل بعد فترة الوحي قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)، وذلك لما ورد عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي، قال: "فبينا أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت زملوني زملوني فزملوني" فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر إلى قوله فاهجر، (البخاري،

صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة المدثر، باب قوله والرجز فاهجر حديث رقم: (٤٦٤٢) وكذلك البخاري: باب قوله وربك فكبر، حديث رقم: ٤٦٤٠).[١].

ثم تأتي الإشارات القرآنية المكية في معرض إثبات النبوة بتكليفه عليه الصلاة والسلام بالصلاة لالتزام أوامر الله، وتأكيد عبوديته المطلقة لله وحده، وذلك في الإشارة السادسة قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمْ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ القرآن تَرْتِيلاً)(المزمل: ١-٤)، فقد جاء عن ابن عباس قال: لما نزلت أول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان، حتى نزل آخرها، وكان بين أولها وآخرها سنة.[٢]

وتتابع الإشارات القرآنية لتحدد دور النبي عليه الصلاة والسلام وتحصره بتبليغ ما أمره به الله عز وجل، ومن ذلك الإشارة السابعة في قوله تعالى :(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّر، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) (الغاشية:٢١-٢٢) قال البغوي: "فذكر، أي: عظ يا محمد إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الإيمان".[٣]

قال الآلوسي :"والفاء في قوله تعالى: (فَذَكِّرْ) لترتيب الأمر بالتذكير على ما ينبىء عنه الإنكار السابق من عدم النظر، أي: فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم، ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يتذكرون، وقوله تعالى: (إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ) تعليل للأمر. وقوله سبحانه:(لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) تقرير له وتحقيق لمعنى الإنذار أي لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد"[٤]

ومن الإشارات القرآنية المكية على إثبات نبوة محمدٍ عليه الصلاة والسلام الإشارة الثامنة قوله تعالى:(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) (الضحى: ٣)، روى البخاري عن جندب قال: "اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتت امرأة فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك. فأنزل الله عز وجل: (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى)(البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، حديث رقم : ٤٦٩٨)، وفي هذه الحادثة ما يدلل على أن النبوة كانت باختيار الله عز وجل وأن نزول الوحي على الأنبياء يكون بإذنه تعالى لا باختيار النبي ذاته.

وبعد اختيار الله نبيه الكريم رسولًا ومبلّغًا صدع النبي عليه الصلاة والسلام برسالته معلناً لأهل مكة ما أمره الله بالتزامه، مذكراً أهل مكة بصدقه وأمانته التي

---

(١) الوادعى، الصحيح المسند من أسباب النزول، ص٢٤٩.

(٢) الوادعى، مقبل بن هادي (ت: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، الصحيح المسند من أسباب النزول، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٩٨٧م، ص٢٤٨، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، أبواب قيام الليل، باب نسخ قيام الليل والتيسير فيه، حديث رقم ١٣٠٥.

(٣) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت: ٥١٦هـ/ ١١٢٣م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م ،ج٥، ص٢٤٦.

(٤) الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني(ت:١٢٧٠ه/١٨٥٤م)- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ،ج١٥ ص٣٣٠.

شاعت بينهم، حيث أورد البخاري من حديث ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى البطحاء، فصعد إلى الجبل فنادى: "يا صباحاه" فاجتمعت إليه قريش، فقال: "أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقوني؟" قالوا: نعم، قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.."(البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير قوله تعالى :"وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب"، حديث رقم٤٧٩٢)، فرغم اعتراف المشركين بأخلاقه عليه الصلاة والسلام إلا أنهم حاولوا التشكيك في رسالته من خلال طرح شبهات في طريق الرسالة، إلا أن الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم يبلغ وحي الله تعالى كما أنزل بصدق وأمانة، وعدم معرفته صلى الله عليه وسلم بأمور الغيب، فكان رد القرآن الكريم على الكافرين بهذه الجزئية ما يثبت علوّ أخلاقه وأمانته على الوحي بالقول في الإشارة التاسعة:(قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدًا، عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا) (الجن:٢٥-٢٦). "قال عطاء: يريد أنه لا يعرف يوم القيامة إلا الله وحده، والمعنى أن علم وقت العذاب علم غيب لا يعلمه إلا الله".[١] وكذا علم الساعة، فهي من الأمور التي أخفاها الله عز وجل عن نبيه علمه بالساعة، ومن ذلك الإشارة العاشرة قوله تعالى:(يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا. إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا) (النازعات: ٤٢ -٤٤)، فقد أخرج الحاكم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى أنزل عليه "يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها" فانتهى[٢]، ثم جاء النص القرآني بإشارته الضمنية على أن النبي عليه الصلاة والسلام يبلغ الوحي كما سمعه وأمره الله به في الإشارة الحادية عشرة في قوله تعالى:(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقاويل، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) (الحاقة:٤٤-٤٧)، قال الطبري:" أي لو أن محمد، قال بعض الأقاويل الباطلة، وتكذب علينا، لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة، ثم لقطعنا منه نياط القلب، وإنما يعني بذلك أنه كان يعاجله بالعقوبة، ولا يؤخره بها".[٣] ، وقال البغوي:" لو تخرّص واختلق علينا محمد بعض الأقاويل وأتى بشيء من عند نفسه..، لأخذناه وانتقمنا منه باليمين أي بالحق، كقوله: (كنتم تأتوننا عن اليمين) (الصافات:٢٨) أي: من قبل الحق".[٤]

قال ابن عاشور :"ومعنى (لأخذنا منه باليمين) لأخذناه بقوة، أي دون إمهال فالباء للسببية، واليمين:اليد اليمنى كنّي بها عن الاهتمام بالتمكن من المأخوذ، لأن اليمين

---

(١) الشوكاني، فتح القدير، ج٥، ص٣٧٢.
(٢) الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥هـ/١٠١٥م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٩٠م، (ط١)، ج٢، ص٥٥٨، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(٣) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن،ج ٢٣، ص٥٩٢.
(٤) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن،ج ٨، ص٢١٤ .

أقوى عملاً من الشِمال لكثرة استخدامها فنسبة التصرف إليها شهيرة، المعنى: لأخذناه أخذاً عاجلاً فقطعنا وتينه ، وفي هذا تهويل لصورة الأخذ فلذلك لم يقتَصَرْ على نحو : لأهْلكناه"[1].

فالخلاصة أن النبي صلى الله عليه وسلم ما زاد على الوحي شيئًا ولا أنقص منه شيئًا، فالله تعالى ردّ على الكافرين بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان صادقاً فيما أخبر وبلّغ، ولو كان غير ذلك لما أمهله الله ولعجّل له العقوبة، فهذي من أكبر الشهادات التي شهد بها الحق سبحانه وتعالى بأنه نبي صادق فيما بلغ أمينٌ فيما دعا إليه.

المطلب الثاني

الإشارات القرآنية المكية المتعلقة بالحديث عن القرآن الكريم

أيد الله نبيه بمعجزة دالّة على صدق نبوته، فأنزل عليه القرآن وتكفل سبحانه وتعالى بحفظه وتعليمه للنبي عليه الصلاة والسلام، ومن خلال متابعة الإشارات القرآنية المتعلقة بهذا الجزء من الدراسة فقد تبين أن هناك سبع آيات كريمة قد تناولت هذا الجانب، ففي الإشارة الأولى جاءت الإشارات القرآنية لتقرير أن هذا الكتاب الكريم من عند الله سبحانه وتعالى، كقوله عز وجل:(تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الحاقة: ٤٣)، ثم جاءت إشارات في الإشارة الثانية إثباتاً وتقريراً لمصدر هذا القرآن وتعظيماً لشأنه ولفتاً للأنظار للعناية به قال تعالى :(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (القدر:١)، كما أن القرآن الكريم كان ذا أثر بالغ في النفوس حتى أن المشركين وجدوا هذا التأثير واستحسنوا آياته، وعلموا أنه ليس من قول البشر، وفي ذلك ما تناولته الآية الثالثة فقد أخرج الحاكم في المستدرك أن الوليد بن المغيرة جاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه، فقال: "يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا". قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له. قال: وماذا أقول، فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا. ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضي عنك قومك حتى تقول فيه. قال: قف عني حتى أفكر فيه. فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا، وَبَنِينَ شُهُودًا)"(الحاكم، المستدرك، حديث رقم : ٣٨٧٢) ، فهذه شهادةٌ من الأعداء بأن القرآن الكريم ليس من كلام البشر، ولكن الكِبر والعناد أخذهم كل مأخذٍ فيما بعد. ولم يكن هذا التأثير للقرآن الكريم وإعجاز ألفاظه مقتصرًا على الإنس، بل إن الجن كذلك قد أعجبوا به أيما إعجاب، وجاءوا إلى النبي عليه الصلاة

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩ ص١٤٦.

والسلام ليستمعوا إليه، وهذا ما دلّ عليه قوله عز وجل في الإشارة الرابعة:(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً) (الجن: ١-٢)، فقد روى ابن عباس قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين. فقالوا: مالكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث. فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر. فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين السماء. فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا: (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) (الجن:١-٢) وأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) (البخاري، صحيح البخاري، أبواب صفة الصلاة، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، حديث رقم: (٧٣٩)، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، حديث رقم: ٤٤٩)، ولعل بلاغة القرآن وفصاحته وشدة تأثيره في النفوس مما يعجز البشر عن الإتيان بآيةٍ من مثله كانت السبب الرئيس في إيمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك في الإشارتين الخامسة والسادسة فقد روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ)، قال: قلت: كاهن، قال: (وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، إلى أخر السورة. قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع. [1]

وقد كان من شديد حرصه عليه الصلاة والسلام أن يتعجل القراءة مع جبريل، فجاءت الإشارات القرآنية الخاصة بالقرآن الكريم أثناء تنزّله وفقاً بما تقتضيه الدعوة في الإشارة السابعة وذلك في قوله تعالى:(لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) (القيامة:١٦-١٩)، فعن ابن عباس في قوله تعالى (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ به) قال: كان رسول الله

---

(١) ابن حنبل، المسند،ج١، ص١٧، والحديث فيه ضعف، الفالوذة، أبو إبراهيم محمد إلياس عبد الرحمن، الموسوعة في صحيح السيرة النبوية دراسة موثقة لما جاء عنها في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والروايات التاريخية المعتمدة علمياً مرتبة على أعوام عمر النبي صلى الله عليه وسلم (العهد المكي)، مكة، مطابع الصفا، ١٤٢٣هـ،(ط١)، ص٤٢٧.

صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه، فقال ابن عباس فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحركهما. وقال سعيد أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه، فأنزل الله تعالى (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) قال جمعة له في صدره وتقرأه. فكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما قرأه(البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة القيامة، حديث رقم:(٤٦٤٣). صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، حديث رقم:٤٤٨).

والذي يظهر من جملة الإشارات القرآنية المكية السابقة المتعلقة بإثبات مصدر القرآن الكريم أن تلك الإشارات ترافقت مع مواقف لبعض المشركين أحياناً حين أعلنوا أن هذا القرآن ليس من كلام البشر، وفي بعض الأحيان كانت تلك الآيات التي تتنزل على النبي صلى الله عليه وسلم سبباً في إسلام بعضهم، على أن هذا التأثير لم يقتصر على الإنس وحدهم بل امتد إلى الجن أيضاً وكان سبباً في إسلام بعضهم، وهذا من آكد الأدلة على أن مصدر القرآن الكريم هو الوحي الإلهي، إذ لو كان من عند غير الله لوجد المشركون مدخلاً للطعن والتشكيك به، ولكن عجزهم عن ذلك ومجاهرة النبي صلى الله عليه وسلم بالعداوة وكِبرهم وعنادهم كان دليلاً على أنه من عند الله سبحانه وتعالى.

لخاتمة

ظهر من خلال البحث الاستنتاجات الآتية:

١- أن القرآن الكريم هو أهم مصادر السيرة النبوية.

٢- إن منهج القرآن الكريم في عرض السيرة النبوية يركز على الحدث لأخذ العبرة منه أكثر من تركيزه على الشخوص؛ لأن العبرة بأخذ الدروس ومعرفة سنة الله تعالى وليس بذكر أسماء الأشخاص ونحو ذلك.

٣- إن منهج القرآن الكريم يُعد أكثر شمولاً لأحداث السيرة النبوية من المصادر الأخرى.

٤- تناول النص القرآني المتعلق بأحداث السيرة جوانب نفسية وانفعالية وما تخفيه النفوس، بخلاف المصادر الأخرى والتي اقتصرت على سرد الحدث المتعلق بالسيرة في جوانبه الظاهرة في حين كان النص القرآني يكشف عما يدور خلف تلك الأحداث من عبر ودلالات وعظات.

٥- إن الآيات القرآنية المكية وفي سياق عرضها لإثبات النبوة تناولت بعض الإشارات المتعلقة بجوانب من حياة النبي صلى الله عليه وسلم سواءً قبل البعثة كشق الصدر وتذكيره بيتمه وإيواءه وهديه من قبل الله عز وجل.

٦- جاءت الإشارات القرآنية المكيّة لتأكيد على مبدأ بشرية النبي صلى الله عليه وسلم وأن دوره يقتصر على تبليغ الوحي كما هو دون زيادةٍ أو نقصان.

٧- أظهرت الإشارات القرآنية المكية المتعلقة بمصدر القرآن الكريم شبهات المشركين حول مصدر القرآن الكريم والرد عليها في سياق مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم للكافرين في مكة.

٨- غلب على الإشارات القرآنية المكية المتعلقة بأحداث السيرة النبوية في العهد المكي الإيجاز؛ لأن الهدف من تلك الإشارات التركيز على التوحيد أكثر من التركيز على شبهات الكافرين حول النبوة والقرآن مع ملاحظة أن تلك الآيات على الرغم من إيجازها تضمنت الرد البليغ وقطع الشبهة بالحجة والبرهان.